النظريات المفسرة لظاهرة التحضر

د. عبد السلام سليمة
جامعة مُحَّد بوضياف- المسيلة ، الجزائر
salima.abdeslam@univ-msila.dz
د. بوسكرة عمر
جامعة ابن خلدون- تيارت ، الجزائر
amar.boussakra@univ-tiaret.dz

تاريخ التلقي Submission date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ النشر Publication date
2019-08-02	2019-11-24	2019-11-26

الملخص

تناولت هذه الدراسة عرض أهم النظريات المفسرة لظاهرة التحضر ، الكلاسيكية والمعاصرة كالنظرية الايكولوجية والنظرية السوسيو ثقافية ، والمتصل الريفي الحضري والحضرية كأسلوب للحياة وغيرها من الاتجاهات الرائدة في تفسير التحضر ، كما تضمنت هذه الدراسة عرض النماذج التي اقترحها العلماء لشرح وتفسير أسباب وأشكال امتداد المدن على حساب المجال في المدينة والضواحي في الأوساط الحضرية والريفية.

الكلمات المفتاحية: التحضر ، الحضرية ، النظرية السوسيولوجية.

Abstract

Explanatory theories of the phenomenon of urbanization. (Dr. Salima Abdeslam, Msila university) and (Dr. Amar Boussakra, Ibn Khaldoun University)

The study presented the most important theories explaining the phenomenon of urbanization, classical and contemporary, such as ecological theory and sociocultural theory, urban and urban rural connection as a way of life and other leading trends in the interpretation of urbanization. The study also presented models proposed by scientists to explain and explain the reasons and forms of urban extension at the expense of the field In the city and suburbs in urban and rural settings.

Keywords: Urbanization, Urbanism, Sociological Theory.

1- مقدمة:

إن الفهم الصحيح لأي ظاهرة مهما كانت اجتماعية ، اقتصادية ، سياسية ، طبيعية لا يتأتى بالشكل الصحيح إلا من خلال الانطلاق من أهم النظريات العلمية التي حاولت تفسيرها على مدار الفترات التاريخية ، فالنظرية العلمية قد تطورت بتطور أساليب ومناهج البحث العلمي وكذلك الوسائل والمعدات العلمية التي تتطلبها بعض الظواهر مثل الظواهر الطبيعية والفيزائية...وغيرها.

فالنظرية السوسيولوجية قد تطورت هي الأخرى من المرحلة الكلاسيكية إلى مرحلة ما بعد الحداثة في دراسة نفس الظواهر الاجتماعية ؛ كنتيجة لتطور المناهج العلمية لدراسة الظواهر السوسيولوجية ، وقد قمنا في هذه الدراسة برصد أهم النظريات من المرحلة الكلاسيكية إلى المرحلة الحديثة وبالتحديد النظريات التي تناولت موضوع التحضر في المجتمعات وأهمها النظريات الايكولوجية بكل مراحلها ، والنظرية السوسيو ثقافية والحضرية كأسلوب للحياة ونظرية المتصل الريفي الحضري...

2- الاتجاهات الفكرية المفسرة للتحضر:

يكمن الهدف من وراء عرضنا لهذه النظريات تتبع الإسهامات الفكرية التي قدمها بعض علماء الاجتماع في مجال الدراسات السوسيولوجية والحضرية ، في محاولة منهم لتحليل العلاقة القائمة بين الصناعة كظاهرة حضرية اجتماعية اقتصادية وأهم عوامل التغير الاجتماعي وتأثر المجتمعات المحلية بها من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفيزيقية ، وتعتبر هذه النظريات جهودا تدخل في نطاق المحاولات الرامية إلى وضع نماذج تفسيرية وصياغة بناءات نظرية ، تشرح علاقة تأثير النشاط الصناعي على المجتمع ، لأن التاريخ يشهد على أن الصناعة لعبت دورا هاما في نمو وتطور المجتمعات والمدن وتغير البنى والنظم الاجتماعية ، كما ساهمت في خلق مدن ومجتمعات جديدة عرفت باسم المدن والمجتمعات الصناعية ، ودراسة المشكلات الاجتماعية التي ظهرت في المجتمعات الصناعية المتحضرة نتيجة تغير في المعايير والقيم الاجتماعية.

وسوف نحاول أن نلخص أهم النظريات التي تناولت هذا الموضوع في ما يلي:

أ- الاتجاه الإيكولوجي الكلاسيكي:

كانت باكورة دراسات الإيكولوجيين الكلاسيكيين أعمالهم التي اعتبرت بداية قوية لظهور اتجاه جديد في الدراسات الحضرية ، عرف بالإيكولوجيا البشرية على يد كل من "روبرت بارك R.park" وزميله "آرنست بيرجس A.burgess" و"روبرت ماكينزي R.mackenzie" في أمريكا بدءا من سنة 1930.(سعد جمعة 2004 ،ص69) وكان محور هذه الدراسات هو الكشف عن طبيعة العلاقات المتبادلة بين الإنسان والبيئة ما يعرف بالايكولوجيا البشرية ،(محمود الكردي ، 1977 ، ص54) حيث لا يقتصر مفهوم البيئة في هذه الدراسات على البيئة الفيزيقية فحسب ، بل يمتد إلى النظم الاجتماعية والاقتصادية والمكونات الثقافية التي ابتكرها الإنسان والتي اهتمت بعدة قضايا مرتبطة بموضوع حركة السكان وعلاقتهم بيئتهم كالسكان والتنظيم الاجتماعي والمستوى التكنولوجي ، ومن أهم ما جاء به هذا الاتجاه الفكري لتفسير الظواهر الحضرية أن مؤشرات النمو الحضري مرتبطة باختلاف معدلات الزيادة الطبيعية وعدم الاتساق في احجام الأسرة ومدى الاستغلال الأمثل لطاقات البيئة وتمثل تأثيرات هذا النمو صور التركيز وعدم التركيز وشكل المركزية واللامركزية وإطار التوسع وعدم التوسع وكلها تأثيرات مرتبطة بزيادة حجم المجتمع وارتفاع الكثافة السكانية مما ترتب عليه ظهور مشكلات اطلق عليها هذا الاتجاه اسم:" مشكلات النمو الحضري " والتي تمثلت في ظهور المناطق المتخلفة في النمط الحضري نتيجة لزيادة الهجرة نحو المدن ، والصراع الثقافي نتيجة احتكاك المهاجرين إلى المدن بثقافات مختلفة عن تلك التي تمثل بيئتهم الأصلية ، فهذا الاتجاه وجه كل اهتمامه إلى أهمية تكيف الفرد مع بيئته وضرورة ربط المركز الايكولوجي بظاهرة النمو الحضري ،(محمود الكردي ، المرجع السابق ، ص54) ونلخص هذه الأعمال في ما يلي:

أولا- نظرية الدوائر المتراكزة لـ "آرنست بيرجس":

لم يكن" بيرجس" ينظر إلى البناء الايكولوجي للمدينة بوصفه جانبا استاتيكيا وانما اعتبره عمليات ديناميكية ؛ تتجسد بشكل واضح في النمو الفيزيقي للمدينة ويتمثل شكل النمو بالتوسع المكاني داخل المدينة وهذا هو المحور الرئيسي في اهتمام بيرجس ؛ إذ أنه يبحث هذا الجانب بمزيد من الاحاطة وهو ما نجده عند تعميم اهتمامه من التوسع المكاني إلى بحث أثر هذا التوسع على التنظيم الاجتماعي والشخصية ، ولكن السؤال الذي بقي مطروح هو كيف نعمل لقياس هذا النمو السريع للتوسع المكاني في المدينة ، وللإجابة على ذلك حدد "بيرجس" مؤشرا لفهم هذه العملية الايكولوجية ؛ وهو مؤشر الحراك والتنقل ، في حين يتخذ من قيمة الأرض مؤشرا ومقياسا لهذا الحراك.(كامل المرياتي ، 1992 ،ص-ص130-131)

الشكل رقم(01): يمثل نموذج نظرية الدوائر المتراكزة.

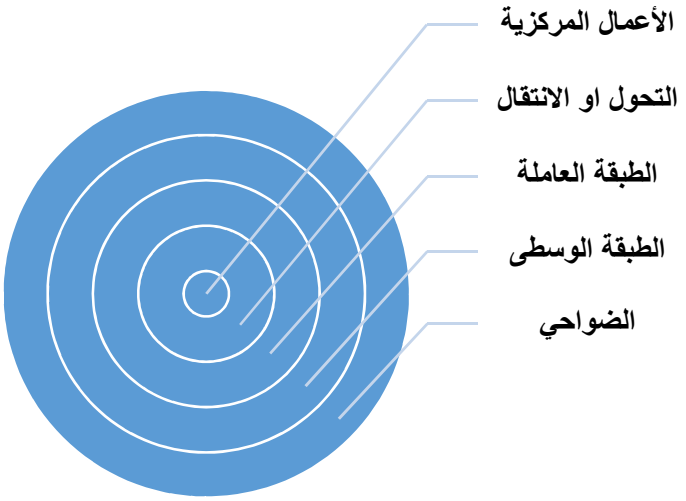

المصدر: كامل المرياتي ، ص130.

قام بيرجس بدراسة حول نمو المدن في ضوء امتدادها الفيزيقي وتمايزها في المكان منطلقا من فكرة أن أسعار الأرض وسهولة الوصول إليها ترتفع كلما اقتربنا من مركز المدينة ، وينخفض تدريجيا بالبعد عن مركز المدينة وتوصل "بيرجس" في نظريته هذه إلى أن المدن تأخذ في نموها الشكل الدائري ، الذي يتخذ شكل حلقات حول المركز ، ويتوزع السكان في هذه الدوائر ، حيث يكون لكل حلقة خصائص تميزها ، فاشتملت المدينة بذلك على خمس حلقات مختلفة ومتحدة المركز ، حسب الترتيب:

01- منطقة الأعمال المركزية (مركز الحلقات ومركز المدينة).

02- منطقة التحول ، وهي منطقة تمتد على حسابها منطقة الأعمال المركزية.

03- منطقة سكن العمال.

04- منطقة سكن رجال الأعمال.

05- منطقة الضواحي(حميد خروف وآخرون ، بدون سنة ، ص-ص 21-22)

تساعدنا نظرية الدوائر المتراكزة على شرح نمو (المدينة الصناعية) أو خلق مدينة جديدة بتركز نشاط اقتصادي بها كالصناعة حيث يأخذ المصنع أو المنشأة الصناعية مركز المدينة ، التي تأخذ بالنمو والتوسع في شكل إشعاع عمراني ممتد يكون مصدره المركز (المصنع) ، ويساهم هذا الامتداد في خلق نطاقات مختلفة من حيث قربها من المركز ، وارتفاع أسعار الأرض بها ، حيث نجد ارتفاع سعر الأرض وزيادة الطلب عليه كلما اقتربت الحلقة الدائرية من المركز ، ويحدث العكس كلما ابتعدنا ، والسبب وراء ارتفاع أسعار الأرض ، وزيادة الطلب عليها بالقرب من المركز الصناعي للمدينة هو استغلالها للسكن أو في خلق نشاطات اقتصادية أخرى ، ذات صلة بالنشاط الاقتصادي للمصنع ، حيث يعكس هذا التحول في استخدام المجال وارتفاع أسعاره تحولا على مستوى النظم ، والبنى الاجتماعية والثقافية للمجتمع ظهور طبقات اجتماعية جديدة ، في ظل نظام اقتصادي صناعي.

ثانيا- نظرية القطاع " هومر هويت":

جاءت هذه النظرية كنتيجة لتحليل تجريبي واسع النطاق تضمن 142 مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية قام فيها "هومر هويتH.hoyt" سنة 1939برسم خرائط لثمانية متغيرات سكنية لتلك المدن وأهم ما تضمنته تلك المتغيرات القيمة الإيجارية للأرض ؛ وتقول هذه النظرية بأنه عندما يحدث وتتغير وسيلة استخدام الأرض بالقرب من المركز فإنه يتعمق ويمتد ويكون قطاع له صفاته المميزة ، حيث يكون هناك دائما ميل لوجود قطاعات متميزة في المركز حول شرايين المواصلات الرئيسية التي تمتد عبر المدينة.(دولت أحمد الصادق ، 1977 ، ص-ص 24-25)

والإسهام الحقيقي الذي قدمته هذه النظرية كامتداد لنظرية الدوائر المتراكزة لبرجس هو تقديم بديل لمفهوم الحلقات والدوائر باستخدام مفهوم القطاع ، حيث منح "هويت" أهمية كبيرة لهذا المفهوم في تحليل نمو المدينة والمناطق الحضرية ، الذي يرى من خلاله أن القطاعات السكنية في المدن ، أو سكن الطبقات الاجتماعية يتحدد من خلال القيم الإيجارية ، وهذه الأخيرة ترتبط ارتباطا كبيرا بالدخل الفردي ،(حميد خروف وآخرون، المرجع السابق ص30) ويحتوي النموذج القطاعي على القطاعات الخمسة التالية:

الشكل رقم(02): يمثل نموذج نظرية القطاع.

1- منطقة التجارة والأعمال وتتوسط قلب المدينة.
2- قطاع تجارة الجملة والصناعات الخفيفة.
3- قطاع السكن منخفض الطراز.
4- قطاع السكن المتوسط الطراز.
5- قطاع السكن عالي الطراز والمستوى.

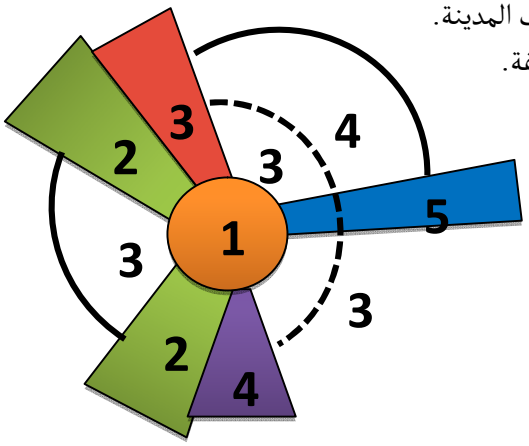

المصدر: دولت أحمد الصادق ، ص24.

فالذي يتحكم في اختلاف وتنوع القطاعات السكنية التي تحدد المكانة الاجتماعية لسكانها هو الدخل الفردي ، وما يحكم التركيب الداخلي للمدن هو الطرق التي تخرج من قلب المدينة في اتجاه الأطراف.

تحدد نظرية القطاع لـ "هومر هويت" أهمية الدخل الفردي في انتشار المناطق السكنية وتنوعها من متخلفة إلى راقية فكلما ارتفع دخل الفرد سمح له ذلك بالانتقال من قطاع سكني إلى آخر ، ومن طبقة اجتماعية إلى أخرى على مراحل ، وهذا يساعد على توضيح أهمية الصناعة كنشاط اقتصادي مثلا تم توطينه في منطقة ريفية بسيطة ،حيث ساهمت في القضاء على البطالة به وتحسين دخل الأفراد ، الشيء الذي ينعكس على نمط معيشة هؤلاء الريفيين عمال المصنع ، الذين يختلفون من حيث طبيعة منصب العمل والدخل ، وكيف يمكن أن يساهم وجود المصنع في هذه المنطقة الريفية في فك عزلتها ، وربطها بالمناطق المجاورة وتحقق ذلك من خلال شبكة الطرقات ، وتوفر المواصلات التي كانت تفتقر إليها المنطقة من قبل ، حيث يكون تنوع القطاعات السكنية وشق الطرقات على حساب مجال فيزيقي ، عن طريق عملية الغزو والاحتلال* ، مما يساهم في تقلص مساحات الأرض الفلاحية في المستقبل ، وتغير الملامح الفيزيقية للمنطقة.

* الغزو والاحتلال عمليتان إيكولوجيتان مرتبطتان تعبران على التغير الذي يصيب أجزاء المجال ، مما يؤدي إلى تغير وظيفته.

ثالثا- نظرية النويات المتعددة لـ "هاريس ألمان":

قدم "هاريس وألمان Harris.Ullman" نموذجا لا يتجمع فيه نمط استخدام الأراضي حول مركز واحد ، بل حول نويات مركزية منفصلة وتظل هذه النويات بعيدة عن بعضها البعض لعدة سنوات. ومن أمثلة ذلك أيضا النويات في الضواحي السكنية للمناطق الصناعية والموانئ ، وأعتبرت هذه النظرية إسهام جديد لما جاءت به من تفسير حول نمو المدن وإدخالها للوظيفة أو النشاط المهني والاقتصادي عند النظر للامتداد الإيكولوجي للمدينة فهناك أكثر من مركز للإنتاج ، وأكثر من مركز للتجارة والتبادل وأكثر من مركز يقوم بوظيفة سياسية ، والنوع الرابع يقوم بوظيفة ثقافية ، والنوع الخامس له وظيفة الاستجمام والراحة ، أما النوع السادس فيقوم بوظيفة أو يحتوي على وظائف وأوجه نشاط متنوعة ، فانتقال الأفراد من مكان لآخر يتطلب انتقال أوجه نشاط مختلفة تأخذ شيئا فشيئا شكل نواة جديدة تخفف من الاعتماد الكبير على المركز.(سعد جمعة ، المرجع السابق ، ص-ص 71-72)

ويضمن هذا النموذج النطاقات والقطاعات التالية:

الشكل رقم(03): يمثل نموذج نظرية النوايا المتعددة.

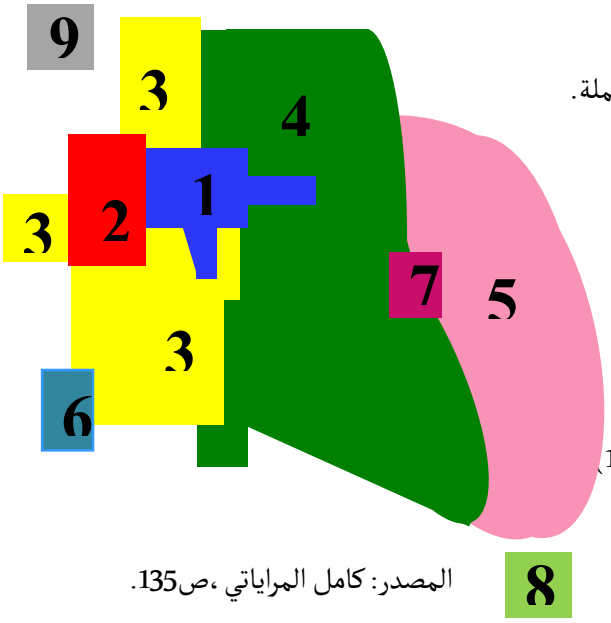

1- منطقة الأعمال والتجارة.
2- منطقة السكنية المنخفضة والبيع بالجملة.
3- منطقة سكنية منخفضة الطراز.
4- منطقة السكن المتوسط الطراز.
5- منطقة السكن عالي الطراز.
6- منطقة الصناعات الثقيلة.
7- منطقة صناعة واقعة على الأطراف.
8- ضاحية سكنية.
9- ضاحية صناعية.(كامل المرياتي ، المرجع السابق ، ص135)

المصدر: كامل المرياتي ،ص135.

حيث تختلف كل مدينة عن الأخرى في نوع وعدد مراكزها ، كما يساهم توزع المناطق السكنية حول النويات في النمو الحضري. فتركز** نشاط مهني أو اقتصادي في منطقة معينة ، يساهم في خلق تجمعات سكانية لها صلة بطبيعة النشاط المهني في هذه المنطقة ، وتتعدد التجمعات السكانية وتختلف بتعدد المراكز المهنية واختلاف وظائفها ، مما يساهم في نمو المراكز الحضرية وتوسعها العمراني الذي يؤدي إلى زيادة استخدام المجال وارتفاع أسعاره وزيادة الطلب عليه ، الشيء الذي يمكن أن يحدث في منطقة فلاحية بعد توطين منشأة صناعية ضخمة بها والتي تتطلب كما هائلا من العمالة ، التي تتطلب بدورها أماكن للإقامة وطرقا للمواصلات ، بالإضافة إلى الخدمات والمرافق الأخرى ، فينتج عن ذلك توسع عمراني على حساب المجال الفلاحي ، ويتقلص النشاط الفلاحي مقابل توسع وازدهار النشاط الصناعي والتجاري.

** التركز: عملية إيكولوجية تشير إلى قدوم أفراد بصورة جماعية للتوطن في مناطق معينة وبشكل دائم.

ب- الاتجاه الإيكولوجي المحدث:

انطلق هذا الاتجاه في دراسته لنمو المدن من مداخل جديدة لم تأخذ بعين الاعتبار في النظريات الكلاسيكية ؛ مما شكل لدى رواد هذا الاتجاه دوافع حقيقة لإعادة النظر في بنية المدينة وكانت دوافعهم لانتهاج أسلوب جديد في تفسير امتداد المدن كمايلي:

- **الدافع الأول:** أن المدينة أو الحضرية تنتج باستمرار ، طرقا جديدة للحياة ونماذج جديدة من الأنماط السلوكية وبالتالي فعلى علماء الاجتماع أن يكتشفوا تلك الطرق والأنماط ، ولكن بطريقة جديدة تلك التي اعتمدها علماء الأنثروبولوجيا حول القبائل البدوية.

- **الدافع الثاني:** أن الظروف الجديدة المتمثلة بالاضطرابات الاجتماعية ، التي صاحبت الطفرات السريعة للتصنيع كانت قد أخرجت لنا حزمة من المشكلات الحضرية ، التي استوجبت معها وقفات بتشخيصات من لدن عقول متخصصة في هذا الشأن. فاهتمت الدراسات الجديدة بمواضيع الجماعات الفرعية في المدينة مثل جماعات الهوبو وعصابات الأحداث وأحياء اليهود...إلخ ، بالإضافة إلى المحاولات التي قام بها هؤلاء الباحثين لفهم أسباب المشكلات الجديدة التي ظهرت في المدن بعد الثورة الصناعية في أوربا وأمريكا.(أحمد غريب ، السيد عبد العاطي السيد 1988 ، ص-ص 176-177) إهتم هذا الاتجاه بدراسة السلوك المنحرف في المدينة باعتباره ظاهرة ناشئة عن التغير الاجتماعي ، كما حاول هذا الاتجاه أيضا تقديم تفسيرات للإبعاد الاجتماعية لمفهوم التفكك الاجتماعي تفسيرا عمرانيا ، إذ جعل هذه الأبعاد عبارة عن نتيجة لعمليات متتابعة تمر بها المدينة ، حيث يفسر الانحراف والجناح على أساس ارتباط السلوك الجانح بأوضاع معينة التي تنشأ نتيجة عمليات نمو المدن (ظروف التفكك الاجتماعي) ولا ينظر هذا الاتجاه إلى عوامل انخفاض مستوى المعيشة والجهل والازدحام والسن الغير لائق باعتبارها عوامل مفسرة للانحراف وإنما ينظر إليها باعتبارها أعراضا لنظام انحلالي ؛ أي أن المناطق الإجرامية يرجع ظهورها إلى تدهور خصائص ومقومات الضبط الاجتماعي ومن الدراسات الرائدة في هذا المنظور دراسات كل من:"كليفرشو"و"هنري مكاي" وهي دراسات أجريت على مناطق الجناح.(جبارة عطية جبارة، السيد عوض علي، 2008، ص164) وأهم نظريات هذا الاتجاه التي يمكن توظيفها في هذا الدراسة هي:

- النظرية الإيكولوجية السوسيو.ثقافية:

تنطلق هذه النظرية من التأكيد على دور الثقافة في تحديد السلوك البشري وتعرف الثقافة على أنها أسلوب المعيشة الذي تتعلمه الأجيال الجديدة من الأجيال القديمة عن طريق الاتصال اللغوي والخبرة بشؤون الحياة ،(علي أحمد فؤاد، 1981، ص13) فالثقافة سلوك متعلم قد يرتبط بالاستخدام الاقتصادي العقلاني للأرض والموارد النادرة(حميد خروف وآخرون ، المرجع السابق ، ص 46) الذي يوجه هذا الاستخدام حسب احتياجات الفرد والجماعة ،تساهم هذه النظرية في توضيح دور العامل الثقافي في توجيه سلوك الفرد ، من حيث استخدامه للإمكانيات والموارد الطبيعية المتوفرة في بيئته الاجتماعية ، للحفاظ على حياته واستمراره كالاتجاه للاستدامة في الموارد الطبيعية. وإذا ربطنا عامل الثقافة باستخدام المجال في الوسط الريفي فسوف نكشف عن محدودية تنوع استخدام المجال الفيزيقي في الريف ، لأن هذه المعطيات تعكس محدودية ثقافة الريفي الفلاح ، حيث لا يتعدى استخدامه للأرض ،في غير الفلاحة أو السكن ، لكن إذا تغير النشاط المهني للفلاح كأن يصبح عاملا في مصنع ، يعمل ساعات محددة في اليوم وله دخل ثابت ، فالتغير على المستوى المهني للريفي يدل على احتكاكه بغير سكان قريته ، ما ينتج عنه تمازج وتنوع ثقافي مع مرور الوقت ، وهذا التغير على المستوى الثقافي سوف ينعكس على نظرة الريفي للفلاحة والأرض الفلاحية من حيث استغلالها ؛ كأن يصبح سلعة تباع أو تشترى ، أو تستخدم للبناء والإيجار ، كمصدر جديد للدخل السريع والمرتفع مما يؤدي إلى تقلص مساحات الأرض الفلاحية وتراجع النشاط الفلاحي بالمقابل ، وكنتيجة لذلك تتغير الملامح الفيزيقية للوسط الريفي الفلاحي بظهور البنايات العالية والفخمة والمحلات والطرق والمقاهي والنوادي ،...فالأفراد في تفاعلهم مع الآخرين ومع بيئتهم يخلقون ويعدلون الثقافية التي تضم القيم والمعتقدات والمعايير التي تحكم الفكر والتفاعل.(حميد خروف وآخرون ، المرجع نفسه ، ص 47.)

ج- اتجاه الثقافة الحضرية:

وتمثلت أهم الإسهامات النظرية في هذا الاتجاه ، أعمال كل من "لويس ورث" و"ردفيلد" وسوف نوضحها كما يلي:

أولا- الحضرية كأسلوب في الحياة لـ "لويس ورث":

ينطلق "ورث" في تصوره للحضرية على أنها أسلوب في الحياة ، فالحضرية ليست في كبر حجم المدن ، وارتفاع كثافتها السكانية واللاتجانس الواضح بين سكانها ، بقدر ما تتمثل الحضرية في القدرة على تشرب نمط الحياة الحضرية ، والتكيف مع واقع البناء والتنظيم الاجتماعي القائم ، حيث تبنى "ورث" تصوره هذا كرد فعل لما تعرضت له الاسهامات الكلاسيكية وبالتحديد كل ما جاء به "بارك" و"بيرجس" حول دور الايكولوجيا في الحياة الاجتماعية والابراز الواضح للعوامل الشبه اجتماعية في العمليات الحضرية فكان هدف ورث من وراء ذلك هو الكشف عن صور الفعل الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي الذي يظهر في المدن ، واهتم "ورث" بالكشف عن الصور المختلفة للفعل الاجتماعي وأنواع التنظيم ، مما جعله يهتم أكثر بالثقافة الحضرية ، ويدرس تأثير الحجم وكثافة المدينة على التنظيم الاجتماعي ، ليصل من خلال دراسته الأمبريقية للحضرية كأسلوب في الحياة إلى ثلاث منظورات ترتبط فيما بينها ارتباطا كبيرا.

- الحضرية بناء فيزيقي يتضمن أبعادا سكانية وإيكولوجية وتكنولوجية.(مُحَمَّد عباس ابراهيم ، 2006 ، ص61)
- الحضرية نسق من التنظيم الاجتماعي يتضمن بناء اجتماعي مميز ومجموعة من النظم الاجتماعية ، ونمط محدد من العلاقات الاجتماعية.
- الحضرية مجموعة من الاتجاهات والأفكار تشترك في تكوين نمط السلوك الجماعي الخاضع لآليات خاصة من الضبط الاجتماعي. (مُحَمَّد عباس ابراهيم ، المرجع نفسه ، ص61) وقد حاولنا في هذا السياق إبراز جملة من القضايا التي تنتج عن الحجم والكثافة واللاتجانس في الوسط الحضري وهي كمايلي:

- **القضية الأولى:** أن الروابط السطحية والضعيفة ، التي تربط سكان المدينة بعضهم ببعض ، انما تعود إلى نمو وتباين السكان وقد توصل إلى ذلك ، من خلال مقارنته لسكان المدينة ، الذين يتعرضون للتجديدات والتغيرات الاجتماعية ، والتي تؤدي إلى تغير انتماءاتهم الثقافية ، بالمقابل سكان القرية الذين لا يتعرضون لأي تغير يذكر فأنهم يعيشون في ظل تراث ثقافي مشترك.

وبناءا على الحالة الأولى ، فإنه لابد من وجود ضوابط رسمية ، تعمل على فرض تراث ثقافي مشترك لسكان المدينة ، يصبح من خلالها السلوك العام سلوكا مصانا دون ضرر أو ضرار يلحق به.

- **القضية الثانية:** كلما نما حجم المدينة ، قل احتمال معرفة الفرد ببقية سكان المدينة معرفة شخصية ومن ثم فإن العلاقات الاجتماعية في المدينة ، تكون علاقات غير شخصية وسطحية ومؤقتة ، إضافة إلى أن ساكن المدينة ، ينظر في إقامة علاقاته مع الآخرين على أساس ما تجلبه له من منافع خاصة لذلك فأنها توصف هنا بالطابع العقلاني.

- **القضية الثالثة:** يطرح "ورث" قضية أخرى ، تتعلق بتقسيم العمل ، ولكن خارج نطاق التخصص الذي يتعلق بالوصول إلى الإنجاز الأسرع وتحقيق الأهداف ، وإنما سيطرة الشركات الكبرى أو المؤسسات على حياة الأسر الصغيرة وعلى نوع الوظائف التي تقوم بها أو عددها ، مما يفقد المدينة روح المشاركة القائمة على أساس المودة والمجاملة وهذا ما يستدعي وجود مجموعة من القواعد الخلقية وآداب السلوك ، التي من خلالها يمكن تفادي حالات التصدع في العلاقات الاجتماعية.

- **القضية الرابعة:** وعطفا على القضية السابقة ، فإن النمو الكبير في تقسيم العمل ، يؤدي إلى قيام المدن بوظائف اقتصادية مختلفة ، وقد يكون التخصص اكثر عمقا في حياة وطابع المدينة ، فتتخصص المدينة في انشطة متنوعة مما يؤدي ذلك إلى اختلال التوازن في المدينة.

- **القضية الخامسة:** يؤدي زيادة حجم المدينة إلى احتمال توسعها وامتدادها إلى خارج حدودها التقليدية ، مما يصعب اجتماع سكانها في مكان واحد ، وهذا يتطلب إيجاد بدائل كتلك التي تتعلق بوسائل الاتصال الحديثة ، التي تقرب المسافات وتسهل على تبادل الاخبار والآراء والموارد ما بين القريب والبعيد.
- **القضية السادسة:** يرى "ورث" ، أنه اذا ما زادت كثافة السكان في منطقة معينة ، زادت معها فرص ظهور التباين والتخصص ، ويستنتج من ذلك ان هناك صلة تربط بين الحجم وزيادة التخصص ، ويشير في الوقت نفسه ، إلى أن التباين والتخصص وسيلتان نواجه بهما الأعداد المتزايدة في المدينة ، وهذا أمر قد لا يتفق معه الكثير ، سيما أن هنالك مدن صغيرة ولكن يزداد فيها التباين والتخصص.
- **القضية السابعة:** أدرك "ورث" ، إن المدينة تنقسم إلى فئات أو طبقات ، أو ربما تنقسم إلى مناطق متمايزة المستوى الاجتماعي والاقتصادي ، ويمكن إدراك ذلك من خلال بعض الخصائص التي تتعلق بالزي ، أو اللهجة ، أو العادات ، أو المستوى المعيشي العام وخصائص أخرى.(حاتم راشد علي ، موقع إلكتروني ، ص25)
- **القضية الثامنة:** التنافس على المصادر النادرة في المدينة ، وبالأخص فيما يتعلق بحيازة الأرض فإن حيازتها متوقف على من يتوقع منها عائد اقتصادي ، ويستنتج "ورث" هنا ،أن المناطق المتعددة في المدينة ، تلبي أهداف سكانها بطريقة مختلفة ويتوقف إلى حد كبير على مكانتهم الاجتماعية ونوع الأعمال المتاحة وخصائص هؤلاء السكان ، فإن ذلك من شأنه أن يحدد اختيارات السكان في الإقامة والسكن ، ومن ثم فإن هذا المدخل يفيد في فهم لماذا تتباين المناطق السكنية ، ولماذا تختلف الجماعات في خصائصها ؟.
- **القضية التاسعة:** إن طابع المنافسة في المدينة يفوق طابع التعاون ، نظرا لعدم وجود الروابط العاطفية والعلاقات الأولية بين الأفراد ، وإضافة إلى ذلك فان "ورث" يعلل ما سبق ، بأن الكثافة السكانية العالية لا تؤدي إلا إلى الاتصال الفيزيائي وطابع العلاقات السطحية ، ومن ثم فإن إحداث التوازن هنا ضرورة ملحة ، يتم تأكيدها عن طريق فرض إجراءات رسمية ، كتلك التي تتعلق بإشارات المرور ، وجهاز الشرطة وغير ذلك.
- **القضية العاشرة:** إن ظروف المدينة ، تفرض على الفرد أن يتقمص اكثر من دور ، ومن ثم ، فإن هذا يعمل على تحطيم الفوارق الطبقية الطفيفة ، ويرجع "ورث" تعدد أدوار الفرد إلى انتمائه لعدة جماعات تعرضه لضوابط مختلفة ويترتب على ذلك ، أن تتعدد صور المكانة الشخصية والاجتماعية "Status Group" ، ويتوصل "ورث" هنا إلى نتيجة مفادها: أن البناء الطبقي في المدينة أقل وضوحا منه في أي مكان آخر ، لذلك لا يصدق ربط الطبقة بالأدوار والمكانات وحدها ، كما جرى ذلك في علم الاجتماع الأمريكي.
- **القضية الحادية عشر:** إن الانتماء إلى جماعات مختلفة ، يؤدي إلى ولاءات مختلفة ومتصارعة لأن كل جماعة تتطلب سلوكا معينا ، يتعارض بالنتيجة مع سلوك الجماعة الأخرى ، وهذا الأمر بطبيعته مرهق للفرد نفسيا واجتماعيا ، وهنا يستنتج "ورث" أن ساكن المدينة يكون أكثر عرضة للتنقل الجغرافي والاجتماعي ، وبالمقابل أضعف ولاءً للجماعة أو للأسرة ، أو للمدينة ، ويبدو أن هذه القضية التي أثارها "ورث" بديهية في علم الاجتماع لاسيما الأمريكي ، فليس من الضروري أن نعثر على جماعات متشابهة ، بل من خصائص الحضرية هو ذلك التباين والتنوع في الجماعات العرقية ، أو الدينية ،أو الثقافية ، كما لا ننسى أن مسألة الوعي الحضري المصاحب لما يحصل بإستمرار من تطورات معرفية وعلمية ، قد إزدادت وفرضت أسلوبا جديدا للإنسان الحضري ، في أن يبتعد عن الفوضوية في الانتماء والولاء ، فلا يعقل في مجتمعات حضرية معروفة ، أن نجد شخصا ما ينتمي إلى حزبين متعارضين.
- **القضية الثانية عشر:** عرفنا كيف أن طابع العلاقات الاجتماعية في المدينة انقسامية ، وعند مراعاة هذا الجانب في إطار من تقسيم العمل ، فأنه مما لاشك فيه نقوم بنقل الرموز التي تشير إلى مكانة الشخص الاجتماعية ، لتصبح عندئذ مقننة في مجال العمل ، وهذا من شأنه أن يدر بالفائدة الاقتصادية على المؤسسة ، ويرى "ورث" في هذا السياق ، أن لهذا التقنين فائدة أخرى ؛ هي تدعيم الثقافة المشتركة في المجتمع ، وتوحيد مكونات الثقافة المادية مع رموزها.(حاتم راشد علي ، المرجع نفسه ، ص-ص 25-26)

يساعدنا هذا الطرح النظري أن نوضح أثر الصناعة على مجتمع ريفي فلاحي ، حيث تتحول هذه المناطق الريفية إلى مدن كبرى ، ويفقد الوسط الريفي بذلك الكثير من خصائصه الاجتماعية والاقتصادية ، والثقافية

والمجالية ،بفضل وسائل الاتصال والمواصلات ،(مُحَمَّد عباس إبراهيم ، المرجع السابق ، ص16) التي تخرج الريف والريفي من عزلته واكتفائه الذاتي القائم على الإنتاج الفلاحي المحدود ، فيفقد النظام الزراعي فعاليته أمام تزايد احتياجات الأفراد ، مما يؤثر على نمط وأسلوب الحياة ، وهذا ما يتماشى مع القضية الثالثة التي طرحها ورث والتي تتضمن صورة فعلية عن تأثر جل صور الفعل الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي في ظل تغير طبيعة النشاط المهني للأفراد في المجتمع ، لنصل في النهاية إلى نتيجة ، أهم ما يميزها الاختفاء المرحلي للخصائص الريفية واختفاء الإنسان الريفي من الوجود ، حيث لا يمكن أن تستمر ملامح الحياة الريفية أمام استمرار التقدم الاقتصاد الصناعي.

ثانيا- المتصل الريفي .الحضري لـ " ردفيلد ":

خلص "رافيلد Redfield"من دراساته للمجتمعات القروية في أمريكا الوسطى إلى فكرة النموذج التي يمكن أن نفسر به عملية التطور الحضاري وتعرف هذه النظرية باسم" الاستمرار من البدائي للمدينة" أو ما يعرف بالمتصل الريفي-الحضري وتتصور هذه النظرية نموذجا للحياة البدائية البسيطة التي نجدها أساسا في القبائل والقرى الصغيرة ، فتصور ردفيلد للمتصل الريفي الحضري كانت بدايته هذا النموذج البدائي وهو نقطة ابتداء لعملية تطور الحضارات الإنسانية.(روبرت ردفيلد ، ترجمة فاروق مُحَمَّد العدلي ، 1973 ، ص4)

فقد أشار " ردفيلد " إلى أن المجتمعات تتحول عبر متصل ، يمثل أحد طرفيه مجتمع الفولك* ويتمثل الطرف الآخر للمتصل المجتمع الحضري ، في حين تمثل بقية المجتمعات التي درسها فقط نماذج متميزة على طول هذا المتصل.(حميد خروف وآخرون ، المرجع السابق ، ص66) وتصور النظرية وجود خط يمثل مراحل التطور بدايته عند نموذج المجتمع البدائي الذي أطلق عليه "ردفيلد" اسم" المجتمع الشعبي" وتشمل المساحة بين نقطتي البدء والانتهاء مراحل تطورية متعددة تمثل مجتمعات أخرى ، وقد حدد "ردفيلد" مميزات هذا المجتمع البسيط ووصفه بأنه مجتمع صغير ، منعزل ، أمي متجانس ، يتميز بإحساس قوي بالتضامن الجماعي بالإضافة إلى بعض الخصائص الاقتصادية تتلخص في بساطة التكنولوجيا والنشاط الإنتاجي المشترك والاستقلال الاقتصادي وعدم التخصص أو تقسيم العمل نتيجة للتخلف التكنولوجي ، أما عن خصائص السلوك الاجتماعي في هذا المجتمع فهو سلوك منمط يتميز بأنه تقليدي وتلقائي وشخصي لا يحتمل النقد وأهم ما يميز المجتمع الشعبي حسب "ردفيلد" أنه مجتمع عائلي ، حيث يحدد النسق القرابي معظم أنماط ومظاهر السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة على السواء وتتميز أحكام أفراد هذا المجتمع بأنها شخصية ذاتية وعاطفية لا يميزها المنطق ، وتكثر في هذا المجتمع مظاهر التخلف العلمي والثقافي والوعي الديني لانتشار مسائل السحر والشعوذة لاعتقاد الأفراد بالقوى الخارقة لهذه الأمور وتمثل كل هذه المميزات مجموع خصائص المجتمع القروي التقليدي المحافظ وبناءا على هذا الطرح الذي قدمه ردفيلد نستخلص أن المجتمع القروي هو شكل من أشكال المجتمع الشعبي.(روبرت ردفيلد، ترجمة: فاروق محمد العدلي، المرجع السابق، ص-ص5-6)

أما المجتمع الحضري وهو القطب الثاني للمتصل الريفي الحضري فيتميز بخصائص مناقضة تماما لخصائص المجتمع الشعبي مثل كبر حجم المجتمع ، التعقد والتباين وتقسيم العمل وارتفاع المستوى التكنولوجي واختلاف سلوك الأفراد وعدم التجانس والتفكك وسيادة القانون وتقدم العلوم وسيادة الروح الفردية والاتجاه الدنيوي المادي والخط الرابط بين قطبين هذا المتصل أطلق عليه "ردفيلد" اسم "استمرار"(روبرت ردفيلد، ترجمة: فاروق محمد العدلي، المرجع نفسه، ص6) كما هو موضح في النموذج التالي:

*: مجتمع الفولك: هو المجتمع الشعبي .

الشكل رقم (04): يوضح نموذج المتصل الريفي – الحضري لـ (رادفيلد)

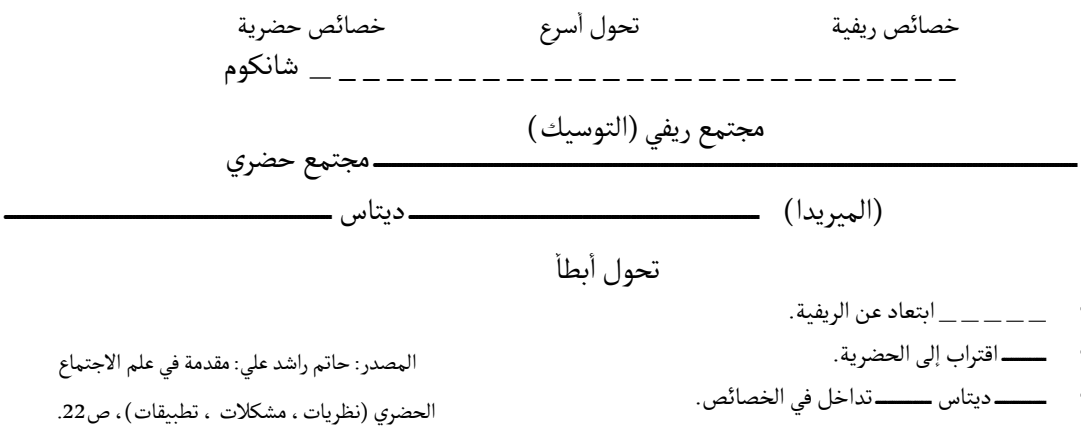

المصدر: حاتم راشد علي: مقدمة في علم الاجتماع الحضري (نظريات ، مشكلات ، تطبيقات)، ص22.

فالمدينة والقرية هما قطبا المجتمعات الإنسانية مع وجود تدرج متصل يلغي فكرة الثنائية في التقسيم إلى ريف وحضر فالحضرية لم تنشأ من فراغ ، وأن هناك اتصالا بين أدنى أشكال الريفية وأعلى أشكال الحضرية ،(سعد جمعة ، المرجع السابق ، ص 95) لأن الحضر قد تطور عن الريف ، والريف سبق في الوجود عن الحضر.

فالأوساط الريفية يمكنها أن تتحضر بسرعة أو ببطء من خلال احتكاكها المباشر وغير المباشر بمظاهر الحضرية ، والحضر والصناعة كظاهرة حضرية يمكنها أن تكون بمثابة المؤثر الفعال على الوسط الريفي ، وتنقله من أدنى درجات الريفية إلى أعلى درجات التحضر على مراحل ومع مرور الوقت ، وخلال هذه المراحل تتداخل مظاهر الحياة الحضرية مع مظاهر الحياة الريفية حيث نلاحظ وجود رواسب ريفية تمارس دورها في مجتمع حضري ، كما يمكن أن نلاحظ العكس في مجتمع ريفي فتظهر بذلك مجتمعات شبه حضرية تتراوح خصائصها بين الريفية والحضرية ، وتعتبر هذه المجتمعات الرابطة بين مظاهر الريفية والحضرية مرحلة وسط للوصول إلى أعلى درجات التحضر.

د- الاتجاهات الحتمية:

أولا- الاتجاه القيمي:

يسعى هذا الاتجاه إلى إبراز أثر القيم كمتغير مستقل على البناء الاجتماعي الحضري والإيكولوجي ، لأنها تعد محددا جوهريا من محددات السلوك الإنساني ؛ فهي تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها ،فالقيم في هذا المجال من الوسائل المميزة لأنماط الحياة الاجتماعية ، لارتباطها ارتباطا وثيقا بدوافع السلوك وأهداف الأفراد وتصرفاتهم وردود أفعالهم ، فالقيمة ليست مستقلة عن الإنسان ، بل هو الذي يخلقها عند اختياره لشيء دون آخر ، ومن خلال هذا الاختيار تبرز القيمة إلى الوجود وتنعكس علائقياً وحيزياً في البيئة الاجتماعية للأفراد. (حميد خروف وآخرون المرجع السابق ، ص-ص74-92)

فالقيمة المعنوية للأرض الفلاحية لدى الريفي هي وليدة اهتمامه الزائد بها ، باعتبارها الأساس الذي يحدد مكانته الاجتماعية ومصدر رزقه وثروته ، فالريفي يعمل ويسترزق من العمل الفلاحي ، لكن هذه القيمة سوف تتناقص مع مرور الوقت بانتقاله من العمل في الأرض خلال فصول السنة إلى العمل في المصنع ، أين يصبح منصب عمله ودخله الشهري هو المحدد لمكانته الاجتماعية ، ومدخراته الشهرية واستثماراته لهذه المدخرات هي ثروته ، فهذه المعطيات الجديدة سوف تؤثر سلبا على العمل الفلاحي والأرض الفلاحية ، من حيث استخدامها في غير الفلاحة كبناء المنازل ، والمحلات التجارية أو تجزئتها وبيعها ، لأن الريفي عامل المصنع لم يعد له متسع من الوقت للقيام بالأعمال الفلاحية التي تتطلب الجهد والوقت والمال وبالمقابل مردودها ضعيف لا يكفي لسد كل الاحتياجات والمتطلبات الجديدة له ولعائلته أو لتحقيق طموحاته.

ثانيا- الاتجاه الاقتصادي:

يستمد هذا الاتجاه توجهه النظري من خلال تركيزه على العامل الاقتصادي ، باعتباره المحدد الأساسي للبناء المجتمع وتطوره ،(عبد الحميد دليمي ، بدون سنة ، ص 12) وأهم ما يميز هذا الاتجاه هو تسليمه ببعض القضايا التي طورها "ماركس" حينما حاول دراسة وتصنيف المدن في حدود تصوره لأساليب الإنتاج.(حميد خروف وآخرون المرجع السابق ، ص76)

ويقصد بالعوامل الاقتصادية شكل الإنتاج ، التوزيع والاستهلاك ونظام الملكية في المجتمع والتصنيع وتلعب هذه العوامل دورا هاما في إحداث التغير الاجتماعي ، فالتغير في نظام الملكية في مجتمع من المجتمعات يصاحبه تأثيرات عميقة وواضحة في الأنساق الاجتماعية داخل البناء الاجتماعي ويحدث التصنيع تغيرات هامة في المجتمع ، ليس فقط في الثروة والدخل القومي ، وإنما أيضا تغيرات على مستوى الأفراد ، من حيث الإحساس بقيمة الوقت والثقة بالنفس والمكانة الاجتماعية مما يدفعنا للقول بأن العامل الاقتصادي قد تكون له أهمية كبيرة في تعجيل تحضر المجتمعات ، حيث يرى "ماركسMarx" أن العوامل الاقتصادية هي العوامل الحاسمة في تطور المجتمعات ، فطريقة الإنتاج في الحياة المادية هي التي تحدد الصفة العامة لأسلوب الحياة من النواحي الاجتماعية والسياسية والروحية ، وتشير الدراسات التاريخية والثقافية المقارنة ، التي أجريت على العلاقة بين الاقتصاد والمجتمع إلى أن الأنشطة والعلاقات الاقتصادية لها أهمية في الحياة الاجتماعية.(دلال ملحس أستيتية ،2004 ، ص-ص54-55)

فالعوامل الاقتصادية يمكنها أن تؤثر في وسط ريفي فلاحي وتنقله من الحياة البسيطة ذات الطابع الفلاحي إلى حياة أكثر تحضرا ، إلا أن العامل الاقتصادي ليس الوحيد في تحضر المجتمعات ، لأن هناك عوامل كثيرة تتحكم في ذلك ، وقد سبق ذكرها.

3- خاتمة:

بعد عرضنا لأهم الاتجاهات الفكرية والنظرية السوسيولوجية التي حاولت تقديم تفسير لظاهرة التحضر في المجتمعات توضح لنا اختلافهم في اقتراح أسباب هذه الظاهرة التي مست كل المجتمعات الإنسانية ، فهناك من فسر هذه الظاهرة على أنها نتيجة لزيادة الكثافة السكانية في المدن ، وهناك من رأى بأنها نتيجة لتغير طبيعة النشاط الإنساني للأفراد بانتقالهم من النشاط الزراعي إلى النشاط الصناعي ، وكان ذلك بالنسبة للمجتمعات الصناعية ، وهناك من نظر إلى هذه الظاهرة على أساس أنها نتيجة لتغير أسلوب حياة الأفراد وارتفاع مستواهم الثقافي وطموحهم في الحياة بشكل أفضل ولكن الشيء الذي لم يختلف فيه جل هذه الاتجاهات الفكرية أن تحضر المجتمعات قد أدى إلى تعقد ظروف الحياة ؛ مما أدى إلى ظهور مشكلات اجتماعية ومجتمعية جديدة أصبحت فيما بعد من المواضيع المهمة التي شغلت فكر الباحثين في هذا المجال والتي أطلق عليها اسم مشكلات التحضر التي تنوعت واختلفت من مجتمع إلى مجتمع أخر.

قائمة المراجع:

1- سعد جمعة: علم الاجتماع الحضري ، مفاهيم وقضايا ، بل برنت للطباعة والتصوير ، القاهرة ، 2004.

2- محمود الكردي: النمو الحضري ، دراسة لظاهرة الاستقطاب الحضري في مصر ، دار المعارف ، مصر ،1977.

3- كامل المراياتي:النمو الحضري وأثره في البناء الايكولوجي لمدينة بغداد ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ، في علم الاجتماع ، جامعة بغداد ، العراق ، 1992.

4- حميد خروف وآخرون: الإشكالات النظرية والواقع ، مجتمع المدينة نموذجا ، دار البعث ، منشورات جامعة قسنطينة.

5- دولت أحمد الصادق: جغرافية السكان ،الطبعة02 ، دار علم الكتاب ، مصر ، 1977.

6- استينية دلال ملحس: التغير الاجتماعي والثقافي ، الطبعة الأولى ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2004.

7- جبارة عطية جبارة ، السيد عوض على: المشكلات الاجتماعية ، الطبعة01 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، 2008.

8- علي أحمد فؤاد: علم الاجتماع الريفي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1981.

9- مُحَمَّد عباس ابراهيم: التصنيع والمدن الجديدة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2006.

10- حاتم راشد علي: مقدمة في علم الاجتماع الحضري(نظريات ، مشكلات ، تطبيقات) ، نقلا عن الموقع الإلكتروني:. http://qu.edu.iq/el/pluginfile.php/11063/mod_forum/attachment/53/%D8%AD%D8%B6%D8%B1%D9%8A.doc ، تاريخ الزيارة 13.10.2016 الساعة 10:15.

11- دليمي عبد الحميد: الواقع والظواهر الحضرية ، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة ، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة قسنطينة ، الجزائر ، بدون سنة.

12- ردفيلد روبرت ، ترجمة فاروق مُحَمَّد العدلي: المجتمع القروي وثقافته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، مصر ، 1973.